مع ترجمتها الى اللاتينيّة والقسم الثاني من قصائد القديس غريغوريوس بالاسطرنجلي وطبع في رومية تاريخين عربيين من تواريخ الكلدان: اخبار فطاركة كرسي المشرق امبرو بن متى من كتاب المجدل (١٨٩٦) وتاريخهم لماري بن سليمان (١٨٩٩)

وكذلك الروسيّون فقدوا في هذه الحقبة الاستاذ داود كفرلسون (D. Chwolson) توفي في بطرسبورج في ٦ نيسان ١٩١١ وكان مولده في ١٠ كا ١ ١٨٢٠. كتب في مجلة اكادمية بطرسبورج مقالات عديدة عن الشرق. ومن تآليفه ما نقله العرب من آثار البابليين الاقدمين (١٨٥٩) ونشر ما ورد في الاعلاق النفيسة لابن دوسته عن الروسيين والصقالبة وشعوب البلقان وترجمها الى الروسيّة

(لهُ بقية)

مولد مريم العذراء في تقليد الاسلام

الاب لويس شيخو اليسوعي

لا يخفى ما للعذراء مريم امّ عيسى من المقام الرفيع في التقاليد الاسلامية. وقد احببنا اليوم ان نذكر هنا ما ورد في تآليف ائمتهم عن مولد البتول بمناسبة وقوع هذا العيد في الكنائس الكاثوليكيّة اليوم الثامن من شهر ايلول. ولسنا نقطع بصحّة ما ننقلهُ هنا عن كتبهم وانّما هو فقط تعريف ما دار في خلدهم او ما اخذوهُ عن تآليف نصرانية سابقة فصدّقوا عليه

١ نسب العذراء مريم

يقرّر التقليد النصراني استنادًا الى قدماء الآباء والكتبة الكنسيين ان مريم العذراء ابنة القديس يواكيم والقديسة حنة. ويروى في انجيل لوقا (١ : ٣٦) انّ القديسة اليصابات زوجة الكاهن زكريّا كانت نسيبتها وقد فصّل ذلك الكتبة المسلمون فقال

المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٢٠ طبعة مصر ١ : ٢٦) :

«زكريا هو ابن ادق من ولد داود من سبط يهوذا وكان تزوّج اشباع (ويروى ايشاع وايساع) بنت عمران أخت مريم بنت عمران (١ امّ المسيح وهو عمران بن ماذان بن يهاقيم (ويروى ابن ماثان بن يهاميم) من ولد داود ايضاً واسم امّ اشباع ومريم حنّة وولدت اشباع لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليه السلام»

وقال الطبري في كتابه «تاريخ الرسل والملوك (١ : ٧١١ــ٧١٢):

«كان زكريا بن برخيا (كذا) ابو يحيى بن زكريا وعمران بن ماثان متزوّجين باختين احداهما عند زكريا وهي امّ يحيى والاخرى منهما عند عمران بن ماثان وهي امّ مريم. فماتت عمران ابن ماثان وامّ مريم حاملٌ بمريم . . . واسم امّ مريم حنة بن فاقود بن قبيل(؟) واسم اختها امّ يحيى الاشباعُ ابنة فاقود . . .»

ثم يذكر نسب مريم فيقول انها «ابنة عمران بن ياشهم(؟) بن أمون بن منشا بن حزقيا» حتى يبلغها الى سليمان بن داود

اما ابن خلدون ويقول في تاريخه كتاب العبر (٢ : ١٤٣ــ١٤٤):

«كان [illegible] في عصره وكانت امّ مريم بنت فاقود بن فيل(؟) وكانت من العابدات [illegible] واسم اختها ايشاع ويقال خالتها تحت زكريا بن يوحنا» ثم يقول (ص ١٤٤) «ان ابن عمران هذا من عمران بن يواقيم وكان له اسمان»

حبل العذراء مريم بلا دنس

يتفق الكاثوليك بانّ مريم العذراء منذ اوّل ما حُبل بها في احشاء والدتها القديسة حنة لم تمسّها الخطيئة الاصلية الموروثة من مخالفة آدم وحوّاء لاوامره تعالى في الفردوس فنالت وحدها تلك النعمة لكرامة ابنها السيد المسيح على خلاف كل بني آدم الذين تتدنّس نفسهم بها منذ اوّل نسمة من حياتهم. والمسلمون قد رووا هذا التقليد

---

١) في قول المسعودي والطبري وغيرهما. انّ مريم هي بنت عمران نظرٌ فانّ في التوراة لا تُعرف مريم بدعى والدها عمران غير مريم اخت موسى النبي وهارون. انما المؤرخون استندوا الى سورة آل عمران (٣ : ٣١) وسورة مريم (١٩ : ٢٩) فاشتبه عليهم

واوّل صدًى لعصمة مريم العذراء من الخطيئة الاصليّة نجدهُ في ذات القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٢): «يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين». فهذا الاصطفاء على نساء العالمين هو نفس قول الملاك جبرئيل لمريم (لوقا ١: ٢٨): «يا ممتلئة نعمة الربّ معك مباركةٌ انت بين النساء».

وفي كتب الحديث شاهدٌ اسطوريّ يثبت اعتقاد المسلمين لهذه العصمة. روى الثعلبي في كتاب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين حيث يقول: «ما من مولودٍ الّا والشيطان يمسُّهُ حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسّ الشيطان إلّا مريم وابنها». وقد شرحهُ الزمخشري في الكشّاف في سورة آل عمران فقال: «ومعناهُ انّ كل مولود يطمع الشيطان في اغوائهِ إلّا مريم وابنها كانا معصومين».

٣ مولد مريم العذراء العجيب

غاية ما يعرفهُ النصارى عن مولد مريم العذراء ما يروونهُ عن تقليد قديم يرتقي الى الآباء القديسين ابيفانيوس وغريغوريوس النزينزي ويوحنا الدمشقي وهو ان حنّة ام مريم تقدّمت في السنّ وهي عاقر فاستمدّت هي وزوجها القديس يواكيم بصلاتها ومبرّاتها ان تحبل بمريم وبشّرهما بها الملاك جبرائيل بعد ان نذرت حنة ان تفرزها لخدمة الهيكل

وفي التقليد الاسلامي ما هو اوسع من ذلك وهو منقول غالباً عن بعض كتب قديمة مصنوعة اخصُّها كتاب مولد مريم وكتاب انجيل يعقوب فنروي كلامهم على علّاته

واوّل ما ورد من ذلك قول القرآن في سورة آل عمران (٣: ٣٥):

«اذ قالت امرأتُ عمرانَ: ربِّ انّي نذرتُ لك ما في بطني محرّرًا فتقبّل مني انّك انت السميعُ العليم. فلمّا وضعتها قالت: ربِّ انّي وضعتها أنثى والله اعلمُ بما وضعتْ وليس الذكرُ كالانثى وانّي سمّيتها مريم وانّي اعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريّا»

واوضح ذلك ابو الفداء في تاريخه المعروف بالمختصر في اخبار البشر (١ : ٣٦) قال :

«وكانت حنّة زوج عمران لا تلد واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت إن رزقها الله ولدًا جعلته من سَدَنة بيت المقدس فحبلت حنّة وهلك زوجها عمران وهي حامل فولدت انثى وسمتها مريم ومعناه العابدة (١)»

وقال الكسائي في قصص الانبياء (ed. Eisenberg, 301-302) :

« انّ زكريا وعمران كانا من اولاد سليمان . . . وكان عمران سمهُ ولم يُرزَق احد منهما ولدًا فبينا امرأة عمران جالسة ذات يوم واذا بحمامة في الدار تحتها فرخها . فبكت حنة عند ذلك وقالت لزوجها : ادعُ الله لنا ان يرزقنا ولدًا . فقال لها : قومي تتوضأ وتصلي وندعو ربّنا ففعلا ذلك . فغلب عليهما النوم فرأى عمران قائلًا يقول لهُ : يا عمران انّ الله قد اجاب دعاءكما قف وواقع زوجتك فانها تحمل من ساعتها . فقام وواقعها فحملت من ساعتها ثم قالت حنة : ان رُزقتُ ولدًا ذكرًا لأجعلنّهُ خادمًا للبيت المقدّس . فقال لها زوجها : انّ الذي في بطنكِ انثى . فقالت : ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرّرًا فتقبّلْ مني ولو كانت أنثى . فلما دنت ولادتها وضعت ابنةً وسمّتها مريم »

٤ كفالة زكريّا لمريم

ليس شيء مقرّر في تقليد النصارى عن كفالة زكريّا ابي يوحنا المعمدان لمريم . وانما يحتفلون بذكر تقدمتها للهيكل في ٢١ من شهر تشرين الثاني . ودونك بعض ما ورد من ذلك في كتب المسلمين

روى ابن خلدون في تاريخه (٢ : ١٤٤) عن الطبري ما حرفهُ :

« ومن الطبريّ وكانت حنّة امّ مريم لا تحبل فنذرت لله ان حملت لتجعلنّ ولدها حبيسًا في بيت المقدس على عاداتهم في نذورهم . فلما حملت ووضعتها لفّتها في خرقتها وجاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عبّادهِ وهي ابنهُ إمامهم وكهنوتهم فتنازعوا في كفالتها واراد زكريا ان يستبدّ بها لانّ زوجهُ ايشاع خالتُها ونازعوهُ في ذلك لمكان ابيها من إمامهم . فاقترعوا فخرجت قرعة زكريا عليها فكفلها ووضعها في مكان شريف من المسجد لا يدخلهُ سواها وهو المحراب فيما قيل »

---

(١) اسم مريم باللغة العبرانيّة معناهُ السيدة والمنيرة وفي السريانية معناه بحر المرّ

وقال الكسائي في قصص الانبياء (ص ٣٠١):

« فلما كمل رضاع مريم حملتها حنّة الى المسجد فوجدت هناك زكريا ومعهُ نفرٌ من العبّاد فقالت: هذه ابنتي مريم قد جعلتُها محرَّرةً وقد تقبَّلها الله مني. فقال زكريا: هذه جاريةٌ صغيرة ولا بدَّ لها من وليٍّ يكفلها حتى تبلغ ثمَّ تكون خادمةً للمسجد. ثمَّ قال: اني أكفلها لاني متزوج بخالتها. فقال العباد: لا بل تقترع عليها. فكتبوا اسماءهم على الأقلام فصوا بها الى عين تسيل وروموا بالاقلام في العين فظهر قلمُ زكريا على وجه الماء وغرقت اقلامهم فاخذها زكريا وكفلها فمات ابوها وامّها فنباتاً حسناً »

٥ مريم في الهيكل

قال ابن خلدون في تاريخه (٢: ١٤٤):

« واقامت مريم في المسجد تعبدُ الله وتقوم بخدمة البيت في نوبتها حتى كان يُضرَب بها المثل في عبادتها وظهرت لها الاحوال الشريفة والكرامات كما خطَّهُ القرآن »

والكرامة التي ذكرها القرآن انَّ « زكريا » كان كلَّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً . . . فقالت لهُ: « هو من عند الله يرزقُ من يشاء بغير حساب »

وقد وجدنا خبر هذه الكرامات مفصَّلاً في كتاب طُبع في بيروت على الحجر سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧م) عنوانهُ « قصَّة عيسى مع والدته مريم » قال (ص ٤):

« ثمَّ جعلت مريم تنشأ نشوءاً صالحاً فلما بلغت اثنتي عشرة سنة وعرفت في العلوم بنى لها زكريا مسجداً فكانت فيهِ صائمةً النهار قائمة الليل. وكان جعل مؤنتها في كل يوم قرصين من شعير فكانت تفطر على احدهما وتتصدَّق بالآخر ولا تعبر عن عبادة ربّها. فلما كان في بعض الايام نبي زكريا فخور مريم فباتت طاوية واصبحت صائمة. فضجَّت الملائكة وقالوا: إلهنا وسيدنا انت اعلمُ بكل شيء لا يخفى عليك خافية أما ترى أمتك الطاهرة قد باتت طاوية واصبحت صائمة. فقال الله عزَّ وجلَّ: انصتوا يا ملائكتي فكلُّ ذلك بعلمي وارادتي. واوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن: اهبطا الى الجنة في اسرع من طرفة عين وخذا طبقاً من اطيباتها واجملا فيهِ من جميع فواكهها واهبطا بهِ على أمَّتي مريم. ففعلا ما امرهما بهِ الله. فلما نزلا ووقفا بين يديها حطَّا الذي معهما وقالا لها: هذه هديةُ الله اليكِ. فسجدت مريم شكراً لنعمة الله عز وجل. . . وانَّ زكريا عليهِ السلام لمَّا تذكر فطور مريم اخذهُ وتوجه اليها ودقَّ باب المسجد فقالت: من بالباب؟ قال: زكريا يا مريم لقد نسيتُ فطوركِ وحقّ الله العظيم. ففتحت لهُ فلما

دخل عرجت الملائكة فنظر زكريا الى ما جاء به فقال كما اخبر الله تعالى فتقبلها ربها (الآية) ثم حمد الله على ذلك وانصرف

نضبط هنا عنان القلم مؤجلين لمرّة اخرى ما كتبهُ المسلمون عن العذراء مريم منذ بلوغها وبشارة الملاك اليها الى آخر حياتها. وفي ما نشرنا هذه الدفعة كفاية للدلالة على مقام العذراء مريم عند كل المسلمين اذ صدّقوا على الامتيازات التي حصلت عليها وبها فاقت على كل نساء العالمين. وهيهات ان ترى شيئاً من تلك النعم في سواها

ومن الوقوف على هذه الخواصّ العجيبة التي تشرّفت بها مريم امّ يسوع يمكن ايضاً ان نتبيَّن عظم ابنها السيد المسيح. فان كانت الام في هذه المرتبة السامية فما القول عن ابنها المدعو في نفس القرآن بروح الله وكلمة الله. أليس يثبت بذلك اعتقاد النصارى ان السيد المسيح يعلو فوق الطبيعة البشرية وانهُ الاله المتأنس ؟

حاضرة سان باولو في البرازيل

نظر تاريخي واقتصادي للقس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

ابحرتُ من بيروت برخصة نيافة الكردينال تاجي رئيس مجمع الكنيسة الشرقية واذن غبطة مولاي الكلّي الطوبى البطريرك افرام الثاني رحماني في ٢٥ تشرين الاوّل من العام الماضي على ظهر الباخرة شامبوليون فوصلنا الى مرسيليا في غاية الشهر المذكور. وركبت منها الباخرة ألسينا المتوجهة الى البرازيل فبلغنا خليج ريو دي جانيرو في ٢١ تشرين الثاني ونحن في طريقنا نعاين البلاد وعجائب البرّ والبحر ما يطول شرحهُ وقد وصفهُ قبلنا وصفاً شائقاً الاديب حبيب افندي فريحه البشعلاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٦٠ــ٢٢٦) ومن ثمّ اني اقتصر على ذكر المدينة سان باولو احدى حواضر البرازيل التي حللتها منذ قريب عام كامل